بمعنى القيام بقوله وابرهيم الذي وفّى وفي التوراة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال انّي
جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمرت ناصب اذ كانّه قيل فماذا قال له ربه حين اتمّهن
فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم
من يؤتمّ به وامامته عامّة مؤبّدة اذ لم يبعث بعده نبيّ الّا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن
ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية
قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذِريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين
اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انّه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى
وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر
قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته واذ جعلنا
البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوّار
وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل احد وامنا
وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجّه من عذاب
الاخرة من حيث ان الحج يجبّ ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله عليه
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف
على المضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام
ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع
بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا
نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر
انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرئ واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وللشافعي رحمه الله عليه في وجوبها قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى
ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان
طهّرا بيتي بان طهّرا ويجوز ان تكون مفسّرة لتضمّن العهد معنى القول يريد طهّراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والرّكّع السجود
اي المصلين راكع وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا يريد البلد او المكان امنا ذا امن
كقوله تعالى في عيشة راضية او امنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن بالله

واليوم

٤١

واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى
وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على الامامة فنبّه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن
والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتداء تضمّن معنى الشرط فامتّعه قليلا خبره
والكفر وان لم يكن سبب التمتع ولكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل
الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزّه اليه لزّ المضطر لكفره وتضييعه ما
صنعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال
ضميره وقرأ ابن عامر فأُمتِعه من امتع وقرئ فنمتّعه ثم نضطره واضطره بالكسر على لغة من يكسر حرف
المضارعة واضّطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضمّ شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس
المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال
ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان
يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه
بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه
لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا
اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا
مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه لله او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب
الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية
من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصّا الذرية بالدعاء
لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصّا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما
ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوّش المعاش ولذلك قيل لولا
الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله
الذين امنوا منكم قدّم على المبيّن وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبّداتنا في الحج او مذابحنا
والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب
ارْنا قياسا على فخْذ في فخِذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وتب علينا استتابة
لذريتهما او عمّا فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم
لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University